الاحتياجات التأهيلية للأحداث الجانحين

Rehabilitation Needs of Juvenile Delinquents

أ. **يحياوي محمد حبيب**

جامعة باتنة 1

ملخص:

إن السلوك الجانح هو نتاج عوامل متنوعة تسهم في حدوثه واستمراره، منها ما هو سيكولوجي يتعلق بشخصية الحدث الجانح، ومنها ما هو اجتماعي يتعلق بالمحيط الذي يعيش فيه، كالأسرة والمدرسة وغيرها من مؤسسات التنشئة الاجتماعية، ولذلك فإن عملية التأهيل والإصلاح للحدث الجانح لا بد أن تكون عملية متكاملة تأخذ في الحسبان هذا التنوع في العوامل المؤدية للجنوح، ولذلك يجب أن تتركز هذه العملية على محاور متعددة.

وهذا هو موضوع مقالنا، حيث تطرقنا فيه إلى المحاور الأساسية التي لا بد من أخذها بعين الاعتبار عند القيام بأي جهد في إطار عملية إعادة تأهيل الحدث الجانح، وإدماجه في المجتمع، على غرار؛ محور شخصية الحدث الجانح، محور العلاقة بالأسرة، محور العلاقة بالدراسة والعمل والمجتمع، محور مهارات الحياة.

الكلمات المفتاحية

جنوح، حدَث، تأهيل، احتياجات تأهيلية

Abstract:

Delinquent behavior is duo to various factors that contribute to its occurrence and continuity, including the psychological ones related to the juvenile delinquent personality; and social issues related to the environment in which he or she lives, such as the family, school and other institutions of socialization; Therefore, the process of rehabilitation of juvenile delinquent must be an integrated process considers this diversity of factors leading to delinquency, therefore this process must focus on multiple dimensions.

This is the subject of our article, where we discussed the main dimensions that must be taken into consideration when undertaking any effort in the process of rehabilitating the juvenile delinquent and its integration into society, such as the dimension of the juvenile delinquent personality, the dimension of relationship with the family, the dimension of relationship to study, work and society; the dimension of life skills.

Key words:

Delinquency,Juvenile,Rehabilitation,Rehabilitation Needs

مدخل

تمثل ظاهرة جنوح الأحداث تهديدا جديا للمجتمعات المختلفة، ولا يُستثنَى من ذلك أي مجتمع في العالم، سواء كان ناميا أو متقدما، فالجنوح يُعَد من الظواهر السلبية المركبة والمتعددة العوامل، ولذلك هو يحتل موقع صدارة في اهتمامات قطاع واسع من الباحثين متنوعي التخصصات.

ويؤكد المشتغلون في قضايا الجريمة والمجتمع بأن ظاهرة الجنوح تأتي في مقدمة المشكلات الاجتماعية التي تواجه المجتمعات المعاصرة، وتَبْرُز خطورتها في تعدد الجوانب المرتبطة بها، وفي تعدد ألوان السلوك المنحرف، وفي أثر كل ذلك على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الذي ينتمون إليه.[1]

بإلقاء نظرة على بعض الأرقام ذات الصلة بظاهرة الجنوح في بلادنا، يتبين بأن الجزائر لا تشذ عن غيرها من البلدان في العالم فيما يتعلق بانتشار هذه الظاهرة، إذ تؤكد ذلك الإحصائياتُ الصادرة عن الجهات المختصة، والتي يظهر من خلالها الشيوع الكبير للجنوح بمختلف أشكاله، وكذلك تطوره عبر الزمن.

من خلال معطيات مقدمة من طرف المديرية العامة للأمن الوطني شهر مارس من سنة 2003، يتبين بأن عدد الأحداث الجانحين في السنوات بين 1998 إلى 2001 قد بلغ 35091، بمتوسط سنوي يقدر بـ 8773 قاصرا، وقد ارتكب هؤلاء القُصَر جرائم متنوعة مثل جرائم السرقة، الضرب والجرح العمدي، التخريب، الجرائم الأخلاقية، والقتل غير العمدي وبعض الجرائم الأخرى.[2]

وقد سجل عدد الجانحين رقما قياسيا في سنة 2002 إذ بلغ 12645 قاصرا تورطوا في مختلف أنواع الجرائم، منهم 12268 ذكرا بنسبة 97 بالمائة و 377 فتاة بنسبة 3 بالمائة، وقد استحوذت الفئة العمرية مابين 13 و 18 سنة على غالبية العدد بـ 11598 قاصرا بنسبة 91 بالمائة، وتركزت أغلب الجرائم في؛ جرائم السرقة بـ 5136 قاصرا، والضرب والجرح العمدي وتخريب الممتلكات بـ 4411 قاصرا، والجرائم الأخلاقية بـ 756 قاصرا، أما بقية العدد فقد توزع على الانضمام لعصابات الأشرار، وجرائم المخدرات وغيرها.[3]

وقدمت القيادة العامة للدرك الوطني إحصائياتٍ تُبيِن تطور ظاهرة انحراف وجنوح الأحداث في الجزائر خلال سنوات 2004 و 2005 و 2006، وكان عدد المتورطين الصغار في الجرائم على التوالي هو 10828 و 12245 و 13237، وكما يظهر من هذه الإحصائيات فإن سنة 2006 شهدت عددا رهيبا من جرائم الصغار، فخلال هذه السنة تورط هؤلاء في 8004 سرقة، 2610 مشاجرة وإيذاء، 1029 حمل سلاحٍ، 720 جريمة تكسير للأملاك العامة والخاصة، 674 جريمة تزوير و200 جريمة أخلاقية.[4]

وصرحت محافِظة الشرطة السيدة مسعودان خيرة، وهي المشرفة على المكتب الوطني لحماية الطفولةوانحراف الشباب التابع للمديرية العامة للأمن الوطني، ليومية الخبر، بأنه تم القبض على 3467 طفل جانح خلال الأشهر الأربعة الأولى من سنة 2007، حيث تم تسجيل تورط 1636 حدثا من بينهم 39 فتاة خلال شهرَي جانفي وَ فيفري، ليشهد الشهران التاليان لهما زيادة واضحة بنسبة 12%،إذ تم تسجيل تورط 1831 حدثا منهم 52 فتاة.[5]

وحسب المديرية العامة للأمن الوطني، فإنه خلال سنة 2013 وصل عدد الجرائم المقترفة من طرف أطفال دون 18 سنة إلى 5168 جريمة، تورط فيها 6836 قاصرا، من بينهم 6558 ذكرا بنسبة تقارب 96 بالمائة، و 278 فتاة بنسبة 4 بالمائة، وتمثلت أغلب جرائمهم في؛ السرقة بـ 2381 قاصرا، والعنف الجسدي المتمثل في الضرب والجرح العمدي وتحطيم أملاك الغير المرتكبة عادة على مستوى المدارس وملاعب كرة القدم، والتي تورط فيها 298 قاصرا،والاعتداء على الأصول بـ 54 حالة، كما تورط القُصر في جرائم القتل بـ 20 حالة، و 9 محاولات قتل بسبب شجارات ونزاعات أطفال، والجرائم الأخلاقية التي تورط فيها 417 قاصرا، وجرائم أخرى.[6]

ويُجمِع الباحثون في ميدان الجنوح بأن هذا الأخير هو ظاهرة معقدة للغاية، ليس من حيث عواملها فحسب، بل كذلك من حيث عدم القدرة على الرصد الكمي الدقيق لحجمها في المجتمعات المختلفة، ولذلك فإن إحصائيات الهيئات الرسمية قد لا تشير سوى إلى نسبة ضئيلة من الحجم الحقيقي للظاهرة في المجتمع، على اعتبار أن الخبراء كثيرا ما يميزون بين "الجنوح الظاهر"، والذي تشمله الإحصائيات الرسمية، وَ "الجنوح الخفي"، والذي لا تشمله هذه الإحصائيات، ولذلك نجدهم يتحدثون عن ما يُسَمَى بالرقم الأسود «*Le chiffre noir*» وهو يتكون من جرائم لم تَرِد في الإحصائيات الرسمية نظرا لعدم تسجيلها أو لعدم اكتشافها من طرف مصالح الأمن، أو لعدم التبليغ عنها من طرف الضحايا، لأسباب متعددة مثل؛ تجنب العار، الخوف من الانتقام، الرغبة في عدم إحياء صدمة الاعتداء أو الجهل بالإجراءات القانونية وغيرها، ويشكل هذا الرقمُ تقديريا حوالي ستة أضعاف حجم الجنوح الظاهر.[7][8]

إن انعكاسات انتشار جنوح الأحداث في المجتمع لا تقتصر على الناحية الأمنية من شيوعٍ للجريمة وفقْدٍ للشعور بالأمن فحسب، بل له تَبِعات أخرى خطيرة على المديَيْن المتوسط والبعيد، إذ أن المجتمع المعني سيفقد بجنوح أطفاله مكونا أساسيا له، والذي كان من المفترض أن يشكل الخزان البشري لكفاءات المستقبل، والتي تساهم في جهود التنمية والتطور في البلاد، ناهيك عن استنزاف جزء معتبر من مُقَدَرات البلاد في متابعة إجراءات التحقيق ومُثول الجانحين أمام جهاز العدالة، وإنشاء محاكم خاصة بالأحداث، والذين كان من المفترض أن يتواجدوا في مكانهم الطبيعي، وهو المدرسة وليس المحكمة.

إذا أخذنا بعين الاعتبار الانتشار الواسع والمتزايد لظاهرة جنوح الأحداث، وكذلك انعكاساتها السلبية على المجتمع من مختلف النواحي، فإنه يتعين العمل على محاربة هذه الظاهرة سواء عن طريق الوقاية، والتي تأتي في المقام الأول قبل وقوع الحدث في طريق الجنوح، وهي المهمة التي تقع في جزئها الأكبر على عاتق المجتمع من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية، أو من خلال التكفل والعلاج بغرض إصلاح الحدث وتأهيله وإعادة إدماجه في المجتمع، ويكون ذلك في المقام الثاني، وذلك بعد وقوع الحدث في السلوك الجانح.

بما أن السلوك الجانح هو نتاج عوامل متنوعة تسهم في حدوثه واستمراره، منها ما هو نفسي يتعلق بشخصية الحدث الجانح، ومنها ما هو اجتماعي يتعلق بالمحيط الذي يعيش فيه الحدث الجانح كالأسرة والمدرسة وغيرها من مؤسسات التنشئة الاجتماعية، فإن عملية التأهيل والإصلاح للحدث الجانح لا بد أن تكون عملية متكاملة تأخذ في الحسبان هذا التنوع في العوامل المؤدية للجنوح، ولذلك يجب أن تتركز هذه العملية على محاور متعددة.

وفي هذا الإطار يأتي هذا المقال كمساهمة متواضعة تهدف إلى تحديد أهم الاحتياجاتالتأهيلية التي يتعين مراعاتها في إطار خطط رعاية وإصلاح الجانحين، وذلك في ضوء الخصائص المميزة لهؤلاء الأحداث.

احتياجات الجانح التأهيلية

يتعين على برنامج علاج وتأهيل الأحداث الجانحين أن يكون متعدد المحاور، يستهدف جوانب متنوعة من حياة الجانح الشخصية والاجتماعية، ويجب العمل عليها كلها بدون استثناء، مما يعطي للبرنامج التأهيلي طبيعته

الشاملة والمتكاملة، فيُغَطي مختلف نواحي القصور في حياة الحدث الجانح، والتي أدت به إلى الوقوع في فخ الجنوح.

وفيما يلي تفصيلٌ لهذه المحاور:

أولا: شخصية الجانح

أضحى تراكم المعرفة السيكولوجية حول موضوع الجنوح يشكل قاعدة محورية يستند إليها العلماء للتأكيد على أن الجانب النفسي له بالغ الأهمية في تفسير الجنوح، ومن وجهة نظر سيكولوجية يُعَد السلوك الجانح مشكلة من مشكلات التوافق النفسي في شخصية الجانح.

ويرى حجازي بأنه يمكن فهم مشكلات التوافق النفسي لدى الحدث الجانح في ضوء كل من مفهوم الذات السلبي والذكاء العاطفي المتدني واضطراب الديمومة، وأنَ هذه المشكلات نابعة في جانب كبير منها من التاريخ الأسري المضطرب أو من تفكك الأسرة وصولا إلى غيابها كليا، مع ما يصاحب ذلك من حِرمانات متعددة ومتفاعلة فيما بينها، كالحرمان المادي والحرمان العاطفي والحرمان التعليمي والحرمان من الرعاية والحماية.[9]

1- مفهوم الذات السلبي

يحدد روجرز *Rogers* "مفهوم الذات" باعتباره تلك العمليات النفسية التي تتحكم في سلوكات الفرد وتوجهها، مع التركيز على أهمية النظر إلى الإنسان كشخص أو ككل متكامل. ويراه كوبر سميث وَ فيلدمان *Coopersmith & Feldman* باعتباره يتكون من مُجمَل الاعتقادات والافتراضات التي يحملها الفرد عن نفسه كما تُفهَم وتنتظِم من الداخل، والتي تتضمن أفكاره عن أي نوع من الناس هو، وماهية الخصائص التي يحملها، وسماته الأكثر أهميةً وتأثيرا في نظره الشخصي. أما زهران فيرى مفهوم الذات على أنه تكوين معرفي مكتسَب ومنظَم وموحَد للمدرَكات الشعورية والتصورات والتقييمات للذات كذات مدرَكة، وفي ما يعتقده الآخرون كذات اجتماعية، وكما يود أن يكون عليه كذات مثالية.[10]

ويكاد العلماء يتفقون على أن لمفهوم الذات تأثيرا كبيرا على مدى التوافق النفسي-الاجتماعي للأفراد، فكلما كان مفهوم الذات أكثر إيجابية كان الفرد أكثر توافقا وقدرةً على التعامل السليم والصحي مع الأحداث والمؤثرات في بيئته المحيطة، والعكس صحيح.

وفي هذا السياق، يرى روجرز بأن مفهوم الذات هو المسؤول عن سلوك الفرد، حيث أنَ الخبرات التيتتطابقمع مفهوم الذات والمعايير الاجتماعية، تؤدي إلى الارتياح والتوافق النفسي، فيما تشكل تلكالخبرات التي تتعارض مع مفهوم الذات والمعايير الاجتماعية تهديداً يؤدي إلى سوء التوافق.[11]

وفيما يتعلق بالجنوح، يؤكد الصيرفي على أن مستوى مفهوم الذات لدى الشباب يُعد من المتغيرات الرئيسية التي ثبت علميا أهميتها البالغة في تفسير السلوك الجانح والمنحرف، وهذا ما يوافقه فيه الصراف إذ يؤكد على أن الحدَث الذي يحمل نظرة سلبية عن مفهومه لذاته سيكون في واقع الأمر أكثر قلقا ومعاناةً وميلا إلى التخريب من الحدث الذي يتمتع باحترام وتقدير الذات.[12]

ويرى حجازي بأن مفهوم الذات السلبي لدى الجانح يتَسِم بالعجز المُتَعَلَم والتشاؤم المتعلَم، بحيث يسيطر على هؤلاء انعدام الثقة في النفس المتخفي وراء درع من الخشونة الظاهرية، مما يعطل توظيف الطاقات الفعلية والإمكانات الذاتية للجانح في حالة من انعدام الدافعية للتعلم واكتساب المهارات والنمو السليم والمعافى، لتكون الإمكانات الوحيدة المتبقية له في مفهومه لذاته هي الاسترسال في السلوكات الجانحة والعدائية وعلاقات الصراع مع المحيط. ويَنتُج العجز المتعلَم من تراكم الحرمان والإحباط بحيث يبدو المرء وكأنه لا حيلة ولا قدرة له على التعامل مع تحديات الحياة ومتطلباتها.[13]

مما سبق يتبين لنا بأن مشاعر الفشل والعجزوالانهزامية، وفقدان الثقة بالنفس هي مميزات لمفهوم الذات في صورته السلبية لدى الجانحين، وأن ذلك يجعلهم يتوقعون الفشل دائما، ويعتقدون بأنهم مهما حاولوا وبذلوا من جهد من أجل تحقيق الاحترام والتقدير والحصول على الاعتراف والمحبة من طرف الآخرين فإنهم سيفشلون في ذلك لا محالة، وأنَ هذه المشاعر ناتجة في الأساس من التاريخ الطويل والمتراكم من الإحباط والحرمان الذي تعرَض له هؤلاء في حياتهم.

إن تضمين خطط التأهيل والإصلاح للأحداث الجانحين ببرامج لتنمية مفهوم ايجابي للذات يعد أمرا ذو أهمية بالغة في تحسين التوافق النفسي–الاجتماعي لديهم، فتعزيز النظرة الايجابية للذات والثقة بالنفس وتقدير الذات سيؤدي إلى إطلاق طاقات النمو الكامنة لديهم والانطلاق نحو تحقيق الذات بثقة، بما يساهم في إخراجهم من دائرة الانحراف والجنوح.

2- الذكاء العاطفي المتدني

يرى جولمان *Goleman*، بأن الذكاء الأكاديمي لوحده ليس كافيا لإعداد المرء لِمَا يجري في الحياة من أحداث مليئة بالاضطرابات والتقلبات، أو لِمَا تتضمنه من فرص، ومن ثمة فإن ارتفاع معامل الذكاء الأكاديمي لا يضمن الرفاهية أو السعادة في الحياة.[14]

وتوجد تعريفات كثيرة للذكاء العاطفي، ومن أهمها تلك التي قدمها المنظرون الذين درسوا هذا النوع من الذكاء وأكدوا على أهميته الكبيرة في التوافق النفسي للأفراد ونجاحهم في مواجهة الأحداث والضغوط التي يواجهونها في حياتهم.

يعرفه ماير وَ سالوفي *Mayer & Salovey* بأنه قدرة الفرد على؛ معرفة مشاعره وانفعالاته الخاصة كما تحدث بالضبط، ومعرفة مشاعر الآخرين، وضبط مشاعره، والتعاطف مع الآخرين والإحساس بهم، وتحفيز نفسه لكي يصنع قرارات ذكية.[15]

ويعرفه بار أُون *Bar-On* في إطار نموذجه المختلط، على أنه منظومة من القدرات الانفعالية والبينشخصية، والتي تمنح الفرد القدرة على التكيف مع الصعوبات المحيطة به والضاغطة عليه.[16]

ووفق نموذج بار أون، فإن الذكاء العاطفي يتضمن الأبعاد الآتية:[17]

- القدرة على الوعي بالمشاعر الذاتية وفهمها والتعبير عنها.
- القدرة على فهم مشاعر الآخرين والاتصال معهم.
- القدرة على التحكم في المشاعر الذاتية وإدارتها.

– القدرة على إدارة التغيير وحل المشكلات الذاتية الداخلية، والبينشخصية مع الآخرين.

– القدرة على توليد المزاج الايجابي والتحفيز الذاتي.

ويعرف جولمان الذكاء العاطفي بأنه قدرة الشخص في ضبط النفس، الحماس، المثابرة، والقدرة على تحفيز النفس.[18]

وحسب جولمان فإن سلوكات مثل إنفاق الوقت في مضايقة الآخرين، والكذب والغش، والسفالة في السلوك مع الآخرين، والعناد والمزاج المتقلب وحِدة الطبع والميل إلى إغاظة الآخرين، لدى الأحداث الجانحين، يُمكن اعتبارها مؤشرات على تدني الكفاءة العاطفية لدى هؤلاء الأحداث، ويبدو أن عدوانيتهم نابعة من سوء فهم الأفعال المحايدة وكأنها تهددهم، وإحساسهم بالإهانة التي لم يقصدها أحد، فهُم يتصرفون على أساس تَصَوُرهم للعداوة والتهديد من طرف الآخرين، ولا ينتبهون إلا بأقل القليل إلى ما يجري بالفعل، وبمجرد تصورهم للتهديد يقفزون إلى الفعل الفوري مباشرة.[19]

ويورِد حجازي مجموعة من الخصائص التي تميز هؤلاء،باعتبارها مؤشرات لتدني الذكاء العاطفي لديهم،وهي كما يلي:[20]

–لا يستطيعون التحدث عن مشاعرهم بجملة ثلاثية الكلمات مثل: أنا أشعر بـ.. الفرح، الحزن، الغضب، الضيق، .. الخ

– لا يتحملون مسؤولية مشاعرهم، وعادةً يُلقون اللوم على الآخرين مثل: هو من استفزني، إنهم يتحاملون عَلَيَ، .. الخ

– لا يستطيعون التبصر بمشاعرهم ومعرفة لماذا هم يشعرون بها، ولذلك نجد مشاعرهم تَجْرِفهم، مما يجعلهم يميلون إلى التفاعل بشكل غير ملائم مع عواطفهم بالمبالغة والتضخيم والقَطْعِية.

– يتنكرون لمشاعرهم سواء بقصد أو بدون قصد، مما يجعلهم يَظهرون أحيانا وكأنهم بلا مشاعر، وذلك كنوع من الدفاع ضد الآلام المصاحِبة للمشاعر السلبية التي تنتابهم.

– يَعُوزُهم الإخلاص في مشاعرهم، ويميلون إلى تغليب المشاعر السلبية تجاه الآخرين، وقد يتخذ ذلك شكل انعدام التعاطف والمشاركة الوجدانية مع الآخرين.

– يتصرفون بمراوغة عاطفية ويستخدمون التحايل، والذي يتخذ أحيانا شكل تمثيل المعاناة الوجدانية استجلابا لعطف الآخرين أو استغلالا لهم.

– لا يشعرون بالأمن العاطفي فيتخذون مواقف دفاعية، أو يُبدُون تصلبا عاطفيا فيجدون صعوبةً في تقبل الأخطاء من الآخرين أو التعبير عن الندم والاعتذار عن أخطائهم هم، إلا في حالة التحايل ومحاولة الإفلات من المساءلة.

– يفتقدون إلى القدرة على التواصل إنسانيا، إذ يركزون على الوقائع المادية الملموسة أكثر من التركيز على الوجدانيات، وهم عادةً يفشلون في الاهتمام بمشاعر الآخرين ولا يقيمون وزنا لها في إطار تفاعلاتهم معهم.

– لديهم أفكار خاطئة حول أنفسهم وحول المحيطين بهم والعالم من حولهم، تُسبب لهم باستمرار التوتر الانفعالي.

– يشعر الواحد منهم بالنقص وخيبة الأمل وتدني مفهوم الذات، مع ما يصاحب ذلك من ألم وامتعاض وتصوير الذات دائما في ثوب الضحية.

من الواضح أن الكثير من أشكال السلوك الجانح لدى الأحداث يمكن تفسيرها في ضوء تَدَني مهارات الذكاء العاطفي لديهم، وبما أن هذه الأخيرة –لحسن الحظ– هي من المهارات التي يمكن تَعَلُمها وتنميتها بواسطة التدرُب عليها كما يؤكد ذلك المختصون، فإنه يتعين العمل على تضمين خطط الإصلاح والتأهيل للأحداث ببرامج لتنمية الذكاء العاطفي لديهم بمختلف أبعاده، مثل تنمية الوعي بالمشاعر الذاتية كالغضب والتوتر والقدرة على ضبطها بدون قمع التعبير عنها بعقلانية، والتدريب على مهارات إدارة الضغوط، والمشاركة الوجدانية ومهارات التواصل الإنساني مع الآخرين، وتعزيز مشاعر التفاؤل ضد مشاعر العجز، وتصحيح الأفكار اللاعقلانية حول الذات والآخرين، وتنمية القدرة على التعبير عن المشاعر، بما يعزز التوافق النفسي والاجتماعي لديهم ويُحَسِن أساليبهم في مواجهة ضغوطات ومشكلات الحياة بنجاح بعيدا عن الدخول في صدام مع مجتمعهم الذي يعيشون فيه.

3– اضطراب الديمومة

الديمومة تعني اتساق الخبرة الزمانية، وتكامل أبعادها ماضٍ وحاضر ومستقبل، إذ يتعلم الإنسان من تجارب وخبرات الماضي الناجحة والمشبِعة بأنَ الجهد الذي يبذله في الوقت الحاضر سوف يؤتي ثماره في المستقبل، مما يجعله يُقبِل على بذل هذا الجهد والعناء بصدر منشرح بحيث تكون صورة النجاح المستقبلي ماثلة أمامه.[21]

وبهذا المعنى، يلعب اتساق الديمومة دورا بالغا في وضع "مشروع الحياة" والعمل على تحقيقه، إذ أن الوعي بالمستقبل يُعَد من المقومات الرئيسية للنجاح، ويأتي الوعي بالمستقبل واستيعابه وتكوين رؤية واضحة عن آفاقه من قدرة الفرد على الفهم الصحيح للحاضر والتعامل معه، واستيعاب دروس الماضي وتوظيفها للعمل في الحاضر من أجل بلوغ الأهداف وتحقيق الغايات المخططة للمستقبل.[22]

والجانح، بدل الانشغال في تحقيق ما سيكون عليه في المستقبل وتوجيه جهوده وتوظيفها في ما يمكن أن يعطيه مكانة ويؤهله لِلَعب دورٍ في مجتمعه، بَدَلَ ذلك، يتجه إلى انتزاع الاعتراف به بواسطة العنف والإخلال بالنظام، مما يعزز نظرة المجتمع الرافضة والنابذة له، ويظل بذلك أسيرا للحظة الراهنة، وأمام مغرِيات اللحظة تنهار العبرة من تجارب الماضي ويتلاشى الاحتياط للمستقبل في صورةِ اضطرابٍ للديمومة واختلالٍ للتناسق بين أبعادها؛ الماضي، الحاضر والمستقبل.[23]

ويرى حجازي بأن اضطراب الديمومة هو من الخصائص النفسية للحدث الجانح، وهو ينتج من تكرار حالات الحرمان والإحباط والنبذ والإهمال في ماضيه، مما يجعله يدخل في حالة من العجز المتعلَم مفادُه بأنه لا جدوى أبدا من بذل الجهد لأنه لا نتيجة تُرْجى ولا إشباع يلوح في الأفق.[24]

فاضطراب الديمومة بهذا الشكل لدى الأحداث الجانحين يُعَدُ من العوامل المسؤولة عن الكثير من المظاهر المميزِة لهم، مثل ضعف تحمل الإحباط لعدم قدرة الحدث على الإدراك بأن الإشباع قد يأتي بعده، والتمسك بالراهن والمحسوس كَحُلول، لأن اضطراب الديمومة يجعل من المُحَتَم الحصول على حل للمشكلة الآن وبأية

طريقة، مع ما يرافق ذلك من ردود فعل اندفاعية وعدوانية وثورات غضب، وكذلك العجز عن وضع أهداف مستقبلية، واتخاذ القرارات بشكل مخطط ومدروس ودراسة بدائل الحلول الممكنة للمشكلة التي يواجهها.[25]

بناءا على ما سبق، تتضح أهمية مراعاة اضطراب الديمومة ضمن البرامج التأهيلية والعلاجية التي يتم تخصيصها للجانحين في المراكز المختصة، وقد يكون من المفيد تخطيط هذه البرامج بحيث تتضمن العمل على مساعدة الأحداث في التخلص من مشاعر العجز المتَعلَم، وتنمية الثقة بالنفس، وتعليمهم أهمية وجود مشروع للحياة، ووضع أهداف مستقبلية والعمل على تحقيقها، وتدريبهم على أساليب حل المشكلات التي تواجههم، والتي تعودوا على التعامل معها باندفاعية وتسرع بدون تخطيط وتأني.

ثانيا: علاقة الجانح بأسرته

الأسرة هي نواة عملية التنشئة الاجتماعية، فهي المؤسسة الأولى المسؤولة عن تطوير شخصية الطفل في إطار هذه العملية، ففي الأسرة يتلقى الطفل أُولَى أشكال الرعاية والتوجيه قبل كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى.

ويُجمِع علماء النفس والتربية والاجتماع على الأهمية البالغة لدور الأسرة في عملية التنشئة، فمن خلال الأسرة يحصل الطفل على احتياجاته النفسية من شعور بالحب والأمان، وبأنه مقبول ومرغوب فيه، ويتعلم كذلك التفريق بين الخطأ والصواب، ويحصل على التشجيع والتحفيز للتعلُم، ويجد القدوة التي يقتدي بها.[26]

إن إخفاق الأسرة في أداء وظائفها في التنشئة السليمة للأبناء على الوجه الصحيح يساهم بشكل كبير في وقوع هؤلاء الأبناء في مشكلات التوافق النفسي والاجتماعي عموما والسلوك الجانح على وجه الخصوص، وفيما يلي بعض مظاهر هذا الإخفاق:

1- أخطاء السلطة الوالدية

إن أول احتكاك للأبناء مع السلطة يكون داخل الأسرة ممثَلةً في السلطة الوالدية، والمقصود بها هو الأسلوب الذي يتبعه الأبوان في التعامل مع الطفل، ويَكمُن أثرها على الأبناء في أن هؤلاء يكتسبون الكثير من قواعد السلوك والقيم والمعايير من خلال تعاملهم مع السلطة الوالدية، وقد يميلون فيما بعد إلى التصرف بالطريقة ذاتها التي تعلموا التصرف بها مع هذه السلطة.

وفيما يلي بعض الأساليب الخاطئة في ممارسة السلطة الوالدية، والتي يمكن أن يكون لها دور في نشوء السلوك الجانح لدى الأبناء:[27]

- القسوة في معاملة الطفل، ويتضمن العقاب المادي كالصفع والضرب وكل ما يؤدي إلى آلام جسدية، والذي يكون عادةً مصحوبا بالعقاب المعنوي كالتهديد والشتم والتخويف والإهانة. والمشكلة في هذا الأسلوب أنه يقدم نموذجا عدوانيا قد يقلده الطفل في حل مشكلاته فيما بعد، وكذلك يقلل من فرص الآباء في التطبيع الاجتماعي لأبنائهم نظرا إلى أن الأبناء يميلون إلى تفضيل عدم الاحتكاك معهم تجنبا للقسوة المفرطة.

– التساهل في المعاملة، فتكون للطفل الحرية لكي يتصرف كما يحلو له، ولا يكلف الوالدان نفسهما استخدام أي أسلوب من أساليب ضبط سلوك الطفل. والنتيجة هي أن الطفل سيتعلم بأنه لا حدود ولا موانع لمتطلباته، كما أن الرضوخ المستمر قد يعكس ضعف الوالدين بما يتنافى مع حاجة الطفل إلى الشعور بقوتهما اللازمة لحمايته.

– التذبذب في المعاملة، فتغيب الصرامة في تطبيق القواعد، ويكون السلوك المعاقَب اليوم مُهمَل غدا أو مُثاب، أو عندما يتبنى كل واحد من الوالدين أسلوبا مناقضا للآخر في تقديم القيم الأخلاقية وفي تحديد ما ينبغي على الطفل اكتسابه منها، والجدير بالذكر أن أسلوب التذبذب في المعاملة يُعد من أكثر الأساليب تواترا لدى آباء الأطفال الجانحين.

– التسلط في المعاملة، وفرض الطاعة بالتهديد وربما بالعقاب، والصرامة الزائدة في تحديد أسلوب حياة الطفل وكيف يلبس ويأكل وينام ويدرُس، وتحميل الطفل مسؤوليات أكبر من طاقته، وهذا قد يجعل الطفل يشعر بالتعاسة والعداوة والتمرد وضعف الثقة في الآباء.

– الإهمال والنبذ في المعاملة، وهو تجنب التفاعل مع الطفل، وتركه لمصيره دون تشجيع على السلوك المرغوب ولا محاسبة على السلوك غير المرغوب.

2– التفكك الأسري

من الحقائق التي لا خلاف فيها بين العلماء أنَ الحصول على قدر كاف من الإشباع العاطفي يُعد من المتطلبات الأساسية لتحقيق التوافق النفسي الاجتماعي للطفل، وأن ذلك لا يحصل إلا في ظل وجود قدر من التماسك والتوافق الأسري، إلا أن هذا التماسك قد يختل بسبب مظاهر التفكك الأسري، مما قد يَحْرِم الطفل من الحصول على الإشباع العاطفي اللازم لنموه النفسي السليم.

وعادةً يميز العلماء بين التفكك المادي الذي قد يحدث في حالة وفاة أحد الوالدين أو كليهما، أو بالطلاق الرسمي أو الهَجْر أو غياب أحد الوالدين لأجَلٍ طويل. والتفكك النفسي الذي يحدث في الأسرة التي يسودها جو الصراعات والنزاعات المستمرة بين أفرادها،خصوصا بين الوالدين، حتى ولو كان جميع أفرادها يعيشون معا تحت سقف واحد، ويشيع في هذه الأسرة عدم احترام حقوق الآخرين.[28]

ويمكن أن يكون هذا التفكك من النوع الخفي، فيكون سوء التفاهم هو سيد الموقف بين الزوجين، وتصل العلاقة بينهما إلى حالة من التباعد العاطفي والجنسي والصراع الفكري، فيُدِير كلٌ منهما ظهره للآخر، مع الحفاظ على المظاهر الاجتماعية للزواج. ويمكن أن يتفجر الصراع بشكل مفتوح في شكل تفكك صريح، فتتكرر الصدامات والاتهامات المتبادلة التي يُلقي فيها كل طرف اللوم على الآخر، وتبرز حالات العنف ضد الزوجة والأبناء، وإهمال الواجبات الوالدية، والذي يصل في أحيان كثيرة إلى درجة الانفصال والطلاق، في ظروف تتسم بالعدائية والسلوكات الانتقامية التي يكون ضحاياها في الغالب هم الزوجة والأبناء.[29]

يؤكد الكثير من العلماء بأن الأبناء الذين ينشأون في أُسر مفككة لا تعرف بين أفرادها سوى النفور والكراهية، لا تكون نشأتهم طبيعية، وتترسب في أعماقهم مشاعر الكراهية نحو الحياة والناس، مما قد يقودهم نحو الانحراف والتمرد على القيم والنُظُم والقوانين.[30]

وقد أشارت العديد من الدراسات التي أجريت حول الجانحين وبيئتهم الأسرية إلى أن العلاقات الأسرية غير السوية، والتي يشوبها التوتر والشجار والعنف والخصومات الشديدة بين الوالدين خصوصا إذا حدث ذلك أمام الأبناء، تزيد من احتمال هروب الأبناء من المنزل ومقابلة رفاق السوء والتعرض المباشر للانحراف بكافة أشكاله. وأن غياب الرقابة الأسرية على الأبناء، وإهمال الآباء للأبناء وعدم متابعتهم قد يؤدي إلى تعودهم على المبيت في الشارع وتشكيل اتجاهات مضادة للقيم الدينية والاجتماعية. وأن فقدان القيم الأخلاقية داخل الأسرة، والتجرُد من معاني الشرف والفضيلة والسلوك الطيب، يجعل من السلوك المنحرف أمرا عاديا في نظر الأبناء. وأن تفكك الروابط الأسرية بالطلاق، وعدم القدرة على الكَسْب والإنفاق، يؤدي بالحدَث إلى الشعور بالتعاسة والمعاناة وانعدام الرفاهية مما قد يجعله يلجأ إلى رفاق السوء في الشارع ويقع في الجنوح. وأن هَجْر الأسرة من طرف الأب سواء بالزواج من امرأة أخرى أو بالسفر بدون رجعة أو لأي سبب آخر، أو هجْرِها من طرف الأم بسبب عدم إنفاق الزوج على البيت أو إدمانه على المخدرات والكحول أو لأي سبب آخر، يُعَرِض الأطفال إلى التشتت والإهمال مما قد يؤدي بهم إلى الجنوح.[31][32][33]

3- اضطراب دينامية الأسرة

من المهم التنبُه إلى طبيعة العلاقات والتفاعلات التي تربط بين أفراد الأسرة من أجلِ فهمٍ أفضل لدور الأسرة في نشوء الانحراف لدى الحدَث، حيث يمكن أن تلعب العلاقات المرَضية في إطار النسق الأسري دورا مهما في هذا الإطار.

ومن بين أشكال ومظاهر العلاقات المرَضية التي يمكن أن يكون لها دور في نشوء المشكلات السلوكية لدى الأطفال، بما في ذلك الجنوح، نجد:

- **الربط المزدوج:** ويُعَد من الأشكال المألوفة لأخطاء الاتصال في الأسرة، ويُقصَد به ما يمارسه أحد الوالدين من اتصال مزدوج ومتضارِب الإشارة مع أحد أبنائه، فهو في الوقت الذي يقول فيه شيئا للتنويه بفكرة أو عاطفة معينة، فإنه يسلُك أو يتصرف بصورة توحي بعكس ذلك، وهو بذلك ينقل إشارة مناقضة لإشارته الأولى.[34]

ومن شأن هذا الشكل المرَضِي من الاتصال أن يجعل الطفل ينشأ في جو من الغموض واللبس قد يؤدي به إلى الإخفاق في تشكيل صورة واضحة عن مختلف القيم الإنسانية والأخلاقية كقيمة الحب–الكره، الخير–الشر، المسموح–الممنوع، .. الخ.[35]

- **العجز عن تقديم نموذج:**يحتاج الطفل في نموه إلى نماذج يبني على غرارها هويته وشخصيته، وبحكم الاحتكاك المبكر والمتواصل للوالدين مع الطفل في الأسرة، فإن هذا الأخير يتخذ منهما نماذجَ يُحتذَبها، غير أن فشل الوالدين أو أحدهما في تقديم النموذج المناسب من شأنه أن يَحْرم الطفل من نموذج يتقمصه مما يؤثر سلبا على نموه النفسي.[36]

وليس غياب أحد الوالدين –خصوصا الأب– السبب الوحيد في العجز عن توفير النموذج المنشود، بل إن تقديم نموذج منحرف يمكن أن يكون عاملا مهما في السلوك الجانح عند الحدَث، إذ تؤكد العديد من الأبحاث أن وجود الإجرام والانحراف لدى الأولياء يُعَد مؤشِرا جيدا للتنبؤ بانحراف وجنوح الأبناء. كما أن تقديم الأم للأب

كنموذج سيئ من خلال نقلها صورة سلبية وقاتمة عنه للابن قد يجعل هذا الأخير يتقمص هذه الصورة السلبية ويقع في الانحراف.[37]

– **كبش الفداء:**على غرار الجسم الإنساني الذي يملك آليات للحفاظ على توازنه الذاتي في مواجهة التغيرات الخارجية الطارئة، فإن للأسرة أيضا آليات تلجأ إليها للحفاظ على توازنها الدينامي الداخلي، وتُشَغِلها عادةً بشكل تلقائي في حالة تعَرُض توازنها إلى الاختلال، ومن بين تجليات استعادة التوازن المهدد في الأسرة إصابةُ أحد أفرادها بعرَضٍ أو اضطراب، إذ يتم تحميله عبءَ هذا الاختلال لكي تتمكن الأسرة من الحفاظ على توازنها. ولذلك يَعتبِر المعالجون الأسَرِيون بأن عرَض أو اضطراب عضو الأسرة هذا إنما هو اضطرابٌ بالنيابة عن الوالدين والأسرة بأكملها.[38]

فالأسرة التي تعاني أصلا من صراعات وقلق وفشل في تحقيق أهدافها إلى الحد الذي يهدد كيانها ووحدتها وتوزانها، وفي محاولةٍ منها للتخلص من هذا التهديد، تقوم بتبرير واقعها بإلقاء الاتهام وتبعات المسؤولية على أحد أفرادها –كبش الفداء–،وهو الذي يتم التضحية به من طرفها،فيُصاب باضطراب عقلي أو اضطرابات سيكوباتية وانحرافية أو أي اضطرابات نفسية أخرى. ونتيجة لذلك فإنه يُنبَذ ضمن العائلة، وتُهمَل تلبية حاجاته، ويُجبَر على الشعور بأنه هو المسؤول عما أصاب العائلة من اختلال أو ضرر.[39]

إن أخطاء السلطة الوالدية ومظاهر التفكك الأسري واضطراب دينامية الأسرة،جميعُها تُعبِر عن وضعيات غير طبيعية،ولا تنسجم مع وظيفة الأسرة في التنشئة السليمة للأبناء، وهي تتداخل وتتفاعل فيما بينها لتُهيئِبيئةً أسرية غير سوية وكابحة للنمو النفسي السليم، وبذلك هي تعتبر عاملا أساسيا من عوامل الجنوح،وهي في ذات الوقت تؤشر على وجود علاقة سيئة تتميز بالصراع والتوتر تجمع بين الحدَث الجانح وأسرته.

إن العمل على معالجة الواقع الأسري في نفس الوقت الذي يعالَج فيه الحدث الجانح في المركز المختص، يكتسي أهمية كبيرة في إطار العملية التأهيلية، لا سيما إذا أخذنا في الحسبان المخاطر العالية للانتكاس بعد العلاج في حالة إعادة الحدَث إلى نفس البيئة الأسرية المولدة للاضطراب. ويمكن أن يكون العلاج الأسري مفيدا لهذا الغرض، وذلك بالعمل على إرشاد الوالدين وتثقيفهم فيما يتعلق بأهمية دور الأسرة ومسؤوليتها الكبيرة في التنشئة السوية للأبناء، وتعليمهم الأساليب الفعالة والسوية في معاملة وتربية الأبناء، والعمل على إصلاح العلاقة السيئة للحدَث مع أسرته عموما ومع والده على وجه الخصوص، واكتشاف أساليب الاتصال غير السوية داخل الأسرة، ومساعدتها على استبدالها بأساليب سوية، وذلك من خلال التدريب على مهارات الاتصال، وكذلك تدريب أفراد الأسرة على مهارات إدارة الضغوط وإدارة الغضب.

ثالثا: علاقة الجانح بالدراسة والعَمل والمجتمع

السلوك الجانح هو محصِلة للتداخل والتفاعل بين عوامل متعددة، وله في ذات الوقت انعكاسات سلبية تمس جوانب متعددة من حياة الحدَث، على شكل نواحي قصور في توافقه النفسي–الاجتماعي، والتي بدورها تفاقِم من جنوحه أكثر، وهكذا يجد الحدَث نفسه داخل حلقة مفرغة قد يجد صعوبة بالغة في الخروج منها.

ومن بين نواحي القصور في حياة الحدث الجانح، تلك التي تمس علاقته بكل من الدراسة، العمَل والمجتمع.

1- علاقة الجانح بالدراسة والعمل

إن التنشئة الاجتماعية هي عملية مركبة ومتفاعلة، تقوم بها العديد من المؤسسات الرسمية وغير الرسمية، وبطبيعة الحال فإن الأسرة هي أول مؤسسة تقوم بوظيفة التنشئة، ثم يأتي دور المدرسة لهذا الغرض، وهو دورٌ يغلب عليه الطابع الرسمي والمُخطَط، مما يجعل الحدَث يَختبِر بيئةً اجتماعية جديدة تختلف عن البيئة الأسرية التي لطالما عايشها وتعود عليها، وذلك يفرض عليه ضرورة التأقلم مع هذا الوضع الجديد من أجل الاندماج فيه.

يشكل هذا الاندماج تحديا صعبا لدى بعض الأحداث، ويزداد هذا التحدي صعوبةً كلما كان التباين بين البيئتين الأسرية والمدرسية أكبر، والذي يصل في كثير من الأحيان إلى درجة التعارض بينهما.

قد يتبنى الحدَث الذي يجد صعوبة في الاندماج ضمن البيئة المدرسية ردودَ فعل تؤشر على حالة من عدم التوافق النفسي–الاجتماعي في حال استمرارها، ويمكن لعدم التوافق هذا أن يكون بمثابة مقدمة للجنوح، وفي هذا الإطار حدد رمضان ردود الفعل المتوَقَعة في ثلاثة مظاهر كما يلي:[40]

– **المظهر الأول:**يتبنى فيه الحدَث موقفا انعزاليا، فينطوي على نفسه ولا يشارك في الحياة المدرسية ونشاطاتها.

– **المظهر الثاني:** يتبنى فيه موقفا عدائيا، إذ ينخرط في سلوكات تخريبية، فيحطم تجهيزات ووسائل المدرسة، ويقوم بضرب أقرانه وإهانتهم وسرقة حاجياتهم.

– **المظهر الثالث:** يتبنى فيه موقفا هروبيا، إذ يدرِك الحدث البيئة المدرسية كبيئة مُنفِرَة له، فيتذرع بالمبررات الواهية من أجل التغيب عن الدراسة، وربما يهرب منها أثناء الدوام الدراسي.

إن مشكلة الحدَث الجانح مع الدراسة لا يمكن اختزالها فقط في المظاهر الجزئية كالتأخر الدراسي والتسرب والهروب من المدرسة والصراع مع التلاميذ وغيرها، فهذه المظاهر قد لا تشكل سوى أعراضٍ لمشكلة كلية هي عبارة عن واقع يجد فيه الحدث الجانح نفسه في حالةغُربة عن عالم المدرسة تتضمن انعداما للرغبة في الدراسة، وشُعورا بعدم القدرة ونقص الكفاءة للتعلُم، وعدم وجود فرَص كافية للإعداد الجيد للدراسة. هذه الغربة مردُها في جانب كبير منها إلى أن الحدَث يكون قد نشأ في أسرة لا تكترث كثيرا بالدراسة كقيمة ذاتية ومستقبلية واجتماعية، لا سيما إذا تعرض هذا الحدث في أسرته إلى الإهمال والنبذ واللامبالاة أو القسوة في المعاملة، وفي ظل غياب نموذج يَحتذِي به،حيث يكون الأب والإخوة على الأرجح من الذين يعانون من سوء التوافق الاجتماعي والمهني، وذوي سوابق مع التعثر والتسرب الدراسي.[41]

وما ينطبق على عالم الدراسة يسري بدوره على عالم العمل، فمعظم المراهقين الجانحين هم ممن غادروا مقاعد الدراسة مبكرا، ولا يملكون مهارات مهنية، وليست لهم العلاقات الكافية التي تساعدهم في إيجاد عمل، ولا يجدون غير الانحراف كمتنفس للهروب من واقعهم الذي يعيشونه، وفرصة تتيح لهم الحصول على صورة أخرى لذواتهم.[42]

فمفهوم الذات المتدني ومشاعر العجز يؤديان إلى إعلان الاستسلام والهزيمة مسبقا،وعدم الانخراط في أي تدريب مهني والدخول في عالم العمل، فالحدث من هؤلاء لا يرى لنفسه مكانة مستقبلية تضمن له التقدير

والاحترام وسد احتياجاته الحياتية إذا لم يتم التدخل الفعال من أجل كسر هذه الحلقة المفرغة، ووضعه في طريق النماء والنجاح في الدراسة والتدريب المهني.[43]

2- علاقة الجانح بالمجتمع

تنسحب حالة الغربة كذلك على علاقة الحدَث الجانح بالمجتمع الذي يعيش فيه، إذ يعاني الحدَث من مشاعر انعدام الكفاءة الاجتماعية ونقص الأهلية والافتقار إلى الاحترام والتقدير من طرف الآخرين، والتي يمكن أن تصل إلى درجة الوصمة الاجتماعية.[44]

ونقصد بالوصمة الاجتماعية *Social Stigma*في هذا السياق، هي الصورة الذهنية السلبية التي تلتصق بالجانحكتعبير عن الاستياء والاستهجان له نتيجةً لاقترافه سلوكا غير سوي يتعارض مع القيم والمبادئ السارية في المجتمع،وهي ترتبط بالنظرة الدونية للجانح، والتمييز ضده في التعامل، والتعبير عن الشعور السلبي تجاهه، والقيام باحتقاره ولومه، وربما حتى حرمانه من بعض حقوقه الاجتماعية كعضو في المجتمع.[45]

من الواضح إذن أنَ الواقع الاجتماعي عن طريق الوصمة، يتجهإلى جَعْل البيئة الاجتماعية بيئةً ضاغطة علىالفرد وطارِدة له، وفي مواجهة الضغوط الناجمة عن شعور الحدث بكراهية المجتمع له، تزداد عزلته عن الحياة الطبيعية، ويدفعه ذلك إلى النظر إلى زملائه في زمرة المنحرفينباعتبارهم ملاذا آمنا، مما يعزز أكثر احتمال العودة إلى الانحراف من جديد.

وفي سياق مشابه، فإن مشاعر الدونية والعجز الناتجة عن النشأة في طبقة اجتماعية دنيا تمثل أحد العوامل التي تساهم في انضمام الحدَث إلى جماعة الجانحين، وذلك كنوع من التعويض عن الخيبة والإحباط الناجمَين عن ذلك، وهذا ما بينته العديد منالبحوث الاجتماعية التي عَمَدت إلى دراسة أثر الوسط الاجتماعي في جنوح الأحداث، من خلال المقارنة بين الطبقات الهامشيةوغيرها في انتشار هذه الظاهرة.[46]

وتشكل النشأة في الأحياء الهامشية أحد أبرز عوامل حالة الغربة التي تميز علاقة الجانح بمجتمعه، إذ أن هذه الأحياء بحكم تكوينها ذاته تُعتبَر خارج دائرة المجتمع المتكيف وعلاقاته وأدواره وأنشطته ذات القيمة والاعتبار، وهكذا تنشأ علاقة تتسم بنوع من الحذر المتبادل بين عالم المهمَشين والمنبوذين الذي ينتمي إليه الحدَث الجانح، وعالم الذين يحظون بالتقدير والاحترام والمكانة، مما يعزز مشاعر الغربة وعدم الانتماء إلى المجتمع.[47]

إن التدخل الفعال على مستوى العلاقة المضطربة بين الحدث الجانح وكل من عالم الدراسة والعمل، والمجتمع ككل، يتعين اعتباره محورا أساسيا في إطار برامج التأهيل والرعاية الموجهة لهؤلاء، وذلك من خلال العمل إحداث المصالحة بين الحدث ومحيطه الاجتماعي، وتدعيم الشعور بالانتماء لهذا المحيط من خلال إدماجه في عالم الدراسة والتدريب والشغل، والعمل على مرافقته في تجاوز الحاجز الذي صنعته الوصمة الاجتماعية بينه وبين الاندماج من جديد في المجتمع.

رابعا: المهارات الحياتية

تعرف منظمة الصحة العالمية *(WHO)*المهارات الحياتية على أنها القدرة على تَبَني سلوك توافقي وإيجابيمما يُمَكِن الفرد من التعامل بفعالية مع متطلبات وتحديات الحياة اليومية.ورغم تأكيدها بأن ماهية وطبيعة هذه

المهارات تختلف باختلاف الثقافات والبيئات الاجتماعية، إلا أنها حددت مجموعة أساسية من المهارات التي تعد جوهر المهارات الحياتية،والتي تساهم في تعزيز رفاهية وصحة الأطفال والمراهقين، وهي مهارات؛ اتخاذ القرار، حل المشكلات، التفكير الإبداعي، التفكير النقدي، الاتصال الفعال، العلاقات البينشخصية، الوعي بالذات، المشاركة الوجدانية (التعاطف)، التعامل مع الانفعالات والتعامل مع الضغوط.[48]

كما تعرفمنظمة الأمم المتحدة للطفولة *(UNICEF)* المهارات الحياتية على أنها تشير إلى مجموعة كبيرة من المهارات النفسيةوالاجتماعيةوالشخصية والاتصالية التي تتيحللأفراد اتخاذ القرارات بشكل مدروس، والتواصل الفعال، وتنمية مهارات التكيف وإدارة الذات،والتي يمكنها أن تؤدي إلى حياة صحية ومنتجة.[49]

وعليه فإن المهارات الحياتية تتضمن ذلك القدر من المعرفة العلمية والعملية، والذي يتيح للفرد التعامل الناجح والفعال مع الأحداث والمشكلات والتحديات التي يواجهها في حياته.

وقد لخصت بعض الصيغ المهارات الحياتية في أربعة محاور رئيسية كما يلي:[50]

– **مهارات العقل:**وهي المهارات المعرفية، وتتضمن التفكير المنهجي، تحديد الأهداف، تحليل البدائل، اتخاذ القرارات، تعريف المشكلات وتحليلها وحلها انطلاقا من المُيَسِرات والمعوقات، التخطيط الحياتي الراهن والمستقبلي.

– **مهارات القلب:**وهي المهارات الانفعالية، وتتضمن التواصل والتفاعل والتعاطف، وتفهُم المشاعر والأحاسيس الذاتية وإدارتها، وتفهُم مشاعر الآخرين والتعامل معها، والاهتمام بالآخرين وروح التعاون والمشاركة، وحل الصراعات مع الآخرين.

– **مهارات اليد:**والمقصود بها المهارات العملية، وتتضمن القدرات السلوكية والحسية والحركية التي تتيح القيام ببعض الأعمال المساعِدة على تيسير شؤون الحياة العملية وتدبُر أمورها، كالتعامل مع الآلات والأدوات، وتشغيلها وإصلاحها، ومختلف المهارات اليدوية للحياة اليومية.

– **مهارات الصحة:**وتتضمن القدرة على تعزيز حسن الحال النفسي والصحة النفسية ومقاومة الضغوط، والحفاظ على الصحة الجسدية والوقاية من الأمراض والمخدرات، وإتباع أسلوب حياة صحي في المأكل والمشرب والتصرف وعادات الحياة.

ويعاني الجانحون الذين نشأوا في أسر مفككة وأحياء هامشية، تتميز بالغبن الاقتصادي والفقر الثقافي، من قصور واضح في نمو المهارات الحياتية، مما يحد من قدرتهم على التفاعل بنجاح وكفاءة مع مواقف الحياة اليومية، ويجعلهم عبارة عن كائنات متواضعة الإعداد للتعامل مع الحياة ومتطلباتها وتحدياتها، مما يفاقم أكثر في غربتها عن المجتمع وبُعدها عنه نظرا لافتقارها إلى مهارات الاندماج والمشاركة.[51]

إن تعديل السلوكات الجانحة لا يعد كافيا من أجل الاندماج في الحياة الاجتماعية بنجاح، إذا لم يُزَوَد الحدث بالمهارات اللازمة لتيسير هذا الاندماج، ولذلك وجب أن يحتوي أي جهد يُبذلفي تأهيلهؤلاء على برامج لعلاج القصورالواضح في مهارات الحياة لديهم من أجل تعزيز ثقتهم بذواتهم، وقدراتهم على شق طريقهم في الحياة وبناء المستقبل.

خلاصة

نستنتج من خلال ما سبق أن أي برنامج تأهيلي، سواء كان داخل مؤسسة مختصة أو خارجها، وسواء قبل وقوع الحدث المعرض للإنحراف في الجنوح (برنامج وقائي) أو بعد وقوعه فيه (برنامج علاجي)، أنه لا بد أن يراعي هذه الجوانب التي تشكل أساسا للعمل التأهيلي، وذلك في إطار خطة شاملة ومتكاملة تهدف إلى إصلاح علاقة الحدث بنفسه وأسرته ومجتمعه ومستقبله الدراسي والعملي، مما يساعد في إدماجه من جديد في مجتمعه الذي ينتمي إليه.

الهوامش

1- خلايفية نصيرة، التصورات الاجتماعية لدور المدرسة عند الأحداث المنحرفين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة منتوري بقسنطينة، الجزائر، 2012، ص1.

2- كركوشفتيحة،ظاهرةانحرافالأحداثفيالجزائر،ديوانالمطبوعاتالجامعية،الجزائر، 2011، ص104.

3- المرجع نفسه، ص106.

4- المرجع نفسه، ص97.

5- حميمدفاطمةالزهراء، شخصيةالحدثالجانح –دراسةأنثروبولوجية–،مذكرةماجستيرغيرمنشورة،جامعةأبيبكربلقايدبتلمسان،الجزائر، 2011، ص10.

6- يوميةالخبر،العدد 7368 ليوم 10 مارس 2014.

7- Cario, R. Victimisations reportées et Victimisations cachées : Psycho-criminologie, Paris : Dunod, 2008, p17.

8- ديلميعبدالعزيز،وظائفوأدوارالمدرسةفيالوقايةمنجنوحالأحداث،مجلةالأكاديميةللدراساتالاجتماعيةوالإنسانية،العدد 10،ص 3-11،جامعةحسيبةبنبوعليبالشلف،الجزائر، 2013، ص4.

9- حجازيمصطفى،الأحداثالجانحونومشكلاتهم،سلسلةالدراساتالاجتماعيةوالعمالية،العدد 57،الطبعة 1،عن: المكتبالتنفيذيلمجلسوزراءالعملومجلسوزراءالشؤونالاجتماعيةلدولمجلسالتعاونالخليجي،المنامة،البحرين، 2010، ص108.

10- الدليمفهدبنعبداللهبنعلي،الفروقفيأبعادمفهومالذاتلدىالمراهقينوالشباب،فيالموقعالالكتروني: http://faculty.ksu.edu.sa/12498/Pages/res.aspx، 2004، ص4.

11- المرجع نفسه، ص5.

12- المرجعنفسه،ص5.

13- حجازي، المرجعنفسه،ص110.

14- جولماندانييل،الذكاءالعاطفي،ترجمةليلىالجبالي،عالمالمعرفة،المجلسالوطنيللثقافةوالفنونوالآداب،الكويت، 2000، ص57.

15- الأسطلمصطفىرشادمصطفى،الذكاءالعاطفيوعلاقتهبمهاراتمواجهةالضغوطلدىطلبةكلياتالتربيةبجامعاتغزة،رسالةماجستيرغيرمنشورة،الجامعةالإسلاميةبغزة،فلسطين، 2010، ص23.

16- ناصرطالب،البنيةالعامليةلمقياسالذكاءالعاطفيلِبار–أُونوَباركرمُطَبَّقعلىطلبةالمرحلةالإعداديةفيمدينةبغداد،مجلةالبحوثالتربويةوالنفسية،العدد 25،ص 92–124،جامعةبغداد،العراق، 2010، ص95.

17- الأسطل، المرجع نفسه، ص38.

18- جولمان، المرجع نفسه، ص11.

19- المرجع نفسه، ص320-323.
20- حجازي، المرجع نفسه، ص113.
21- المرجع نفسه، ص110.
22- مقدم خديجة،مشروعالحياةعندالمراهقينالجانحين،أطروحةدكتوراهغيرمنشورة،جامعةالسانيابوهران،الجزائر، 2012، ص51.
23- المرجع نفسه، ص157.
24- حجازي، المرجع نفسه، ص111.
25- حجازي، المرجع نفسه، ص112.
26- عياد مواهبإبراهيموَالخضريليلىمحمد،إرشادالطفلوتوجيههفيالأسرةودُورالحضانة،منشأةالمعارف،الإسكندرية،مصر، 1995، ص184.
27- بقادة زينبحَمِيدة،أثرالوسطالاجتماعيفيجنوحالأحداث،رسالةدكتوراهغيرمنشورة،جامعةالجزائر،الجزائر، 2008، ص106-108.
28- آل شافي محمد مبارك، التفكك الأسري وانحراف الأحداث، رسالة ماجستير غير مشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، 2006، ص17.
29- حجازي مصطفى،الأسرةوصحتهاالنفسية -المقومات،الديناميات،العمليات-،الطبعة 1،المركزالثقافيالعربي،الدارالبيضاء،المغرب، 2015، ص50.
30- آل شافي، المرجع نفسه، ص26.
31- المرجع نفسه، ص66-73.
32- أنظر: بن الشيخبختي،التفككالأسريوأثرهفيانحرافالأحداث،مذكرةماجستيرغيرمنشورة،جامعةالجزائر،الجزائر، 1990.
33- أنظر: بقادة، المرجع نفسه.
34- كمالعلي،فصامالعقل،الطبعة 1،المؤسسةالعربيةللدراساتوالنشر،بيروت،لبنان، 1986، ص93.
35- بوفولةبوخميس،أساليبالتربيةالأسريةوأثرهافيانحرافالأحداث،مجلةشبكةالعلومالنفسيةالعربية،العدد 21-22،ص 17-34،مؤسسةسيزنكمبيوتر،تونس، 2009، ص31.
36- كمال، المرجع نفسه، ص90.
37- بوفولة، المرجع نفسه، ص31.
38- حجازي، 2015، المرجع نفسه، ص23.
39- كمال، المرجع نفسه، ص90.
40- رمضانالسيد،إسهاماتالخدمةالاجتماعيةفيمجالانحرافالأحداث،دارالمعرفةالجامعية،الإسكندرية،مصر، 1995، ص92.
41- حجازي، 2010، المرجع نفسه، ص118-119.
42- مقدم، المرجع نفسه، ص157.
43- حجازي، 2010، المرجع نفسه، ص119.
44- المرجع نفسه، ص119.
45- الرويليسعودبنمحمد،الوصمالاجتماعيوعلاقتهبالعودللجريمة،مذكرةماجستيرغيرمنشورة،جامعةنايفللعلومالأمنية،الرياض،السعودية، 2008، ص8.
46- بقادة، المرجع نفسه، ص171.
47- حجازي، 2010، المرجع نفسه، ص120.
48- WHO. Life Skills Education for Children and Adolescents in Schools, Programme on Mental Health - World Health Organization, Geneva, Switzerland, 1997, p1.

49- UNICEF. Global Evaluation of Life Skills Education Prorammes -Final Report-, United Nations Children's Fund, New York, USA, 2012, p1.

50– حجازي، 2010، المرجع نفسه، ص123.

51– المرجع نفسه، ص122–124.